من عناصر الشعر أيضًا: الخيال، وهذا الخيال قد يكون تشبيهًا أو استعارةً أو كنايةً أو مجازًا مرسَلاً، وهو ما يسمى بـ"الخيال الجزئي"، ويقابله ويكمله "الخيال الكلي"؛ كما في لامية الحُطيئة التي مطلعها:

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطن مُرمِل

فإنها إلى جانب ما فيها من ألوان الخيال الجزئي تقوم في بنائها العام على قصة متخيَّلة عن أعرابي يعيش في قلب الصحراء بعيدًا عن العمران والناس عيشةً قشفةً مرملة، حدث أن حل به ضيفٌ ذات يوم، فلم يجدْ لديه ما يمكن أن يقدمَه له، فاغتم اغتمامًا شديدًا؛ خشية القيل والقال، واتهام الناس له بالبخل، ونكوله عن القيام بواجب الضيافة المقدس عند عرب البادية، ففكر في لحظة يأس أن يذبح ابنه، وفعلاً عرض الأمر على الابن، فما كان منه إلا أن رحب بالفكرة؛ إنقاذًا لشرف أبيه أن تلوكَه الألسن، وتشيع مذمتُه بين الناس، وبينما يهم بتنفيذ الأمر إذا بقطيع من الحمر الوحشية تعنُّ على البعد، فيسارع إلى كنانته وسهامه ويفوق سهمًا منها لأتانٍ سمينة تخر إثرها على الأرض فيجرها ويذبحها ويطعم ضيفه ويبيتون جميعًا سعداء، وقد شعرت زوجة الأعرابي أنها أم للضيف، مثلما شعر الزوج أنه أبوه، وهي - كما نرى - قصة جميلة، تخيلها الشاعر ليبثها فكرته عن الكرم، ويقدم لنا صورةً عن فقر تلك الأسرة، مع تحليل مشاعرها إزاء الضيف، وما يجب له في ذمتهم، ومن ذلك النوعِ من الخيالِ أيضًا أبياتُ الفرزدق التي مرت بنا عن لقائه بالذئب، وكذلك أبيات ابن خفاجة عن الجبل الذي بات إلى سفحه ذات ليلة، فتخيَّله وهو يروي له ما مر به من ألوان مختلفات من الناس قال كلٌّ منهم يومًا في ظله، ثم مضى لحال سبيله لم يعُدْ إليه قط؛ فهذا عابد أواه، وذاك قاطع طريق قتَّال، وهذا مدلج، وذاك مؤوب، وهذه مطية، وذاك راكبها... إلخ، وهي الأبيات التي يقول في مفتتحها:

|  |
| --- |
| **وأرعنَ طمَّاحِ الذؤابةِ باذخٍ https://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif****يطاول أعنانَ السماء بغاربِ https://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif****أصَختُ إليه وهو أخرس صامتٌ https://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif****فحدَّثني ليل السرى بالعجائبِ https://www.alukah.net/Images/alukah30/space.gif** |

ومن القصائد القائمة أيضًا على ذلك الضرب من الخيال "سلع الدكاكين في يوم البطالة"، التي يتخذ فيها العقاد من سلع الدكاكين في يوم العطلة الأسبوعية رمزًا على البشرية، ومن حبسها وراء الجدران رمزًا على السجن الذي تصادَرُ فيه حرياتُ البشر، وهو يصور البضائع وقد ثارت بسبب الحبس تريد الخروج إلى الحياة الطليقة، حتى لو كان ذلك على حساب وجودها نفسه، وهو يقول: إن هذا هو موقف الجنين ذاته؛ إذ لو سئل أن يبقى حيث هو في بطن أمه يتمتع بالأمان والراحة بدلاً من الخروج إلى النور والحرية الممزوجين بوجع القلب والآلام والشكوى من كل لون - لكان جوابه أن: هيا حيث أحيا، فهو خير من أمان الحبس َّ الحرية والانطلاق يجري في دمه، فلا يملك له دفعًا ولا مناع

وبقدر ما تكون الصورة الخيالية جديدةً غير مذالة من كثرة الاستعمال تكون طازجةً ناضرةً، فمن شأن كثرة الاستعمال أن تقتل ما في الصورة من حيوية وقدرة على الإشعاع والإيحاء، كذلك ينبغي أن تصيب الصورةُ المعنى المرادَ، وألا تسلمك كل ما فيها، أو لا تسلمكه دفعةً واحدة، وإلا كانت صورةً مسطحةً قصيرة العمر، لا تخاطب منك إلا حواسك دون أن تكون لها أغوار، وكلما كانت الصورة نابعةً من القلب حارةً يتطلبها الموقف كانت صورةً ناجحةً مؤثرة، أما إذا كانت وليدة العقل البارد فإنها تجيء متكلَّفةً هامدةً فاقدةَ القدرة على الإيحاء، كذلك يجب ألا تزدحم الصورُ ازدحامًا، فترهق ذهن المتلقي، وتكظه فلا يستطيع أن يتنفس، ويئنُّ تحت وطأتها دون أن تتاح له الفرصةُ لتملِّيها والتلذُّذِ بها.